

ثلاثة تحديات تواجه الواقع العربي

ليس هناك من يحل محل مصر

● كان للاعتداءات الصهيونية والاميركية الاخيرة ضد امتنا العربية، والثورة الفلسطينية، وقع شديد على النفس العربية. ليس لبشاعة الاعتداءات وهمجيتها، وانما للعجز العربي ازاءها. فما هي اسباب هذا العجز في تصوركم، وكيف تكون عملية الخروج منه؟^(١)

- العجز العربي، الذي تشيرون اليه ليس مفاجئا، بل هو طابع مرحلة او حقبة من الزمن امتدت طوال السنوات العشرين الماضية على الاقل. ولهذا العجز اسبابه القريبة والبعيدة التي تناولها المفكرون والمحللون واسهبوا في تحليلها ودراستها. ولكنه، في اعتقادنا، حالة مؤقتة لايمكن ان تستمر طويلا، مهما قيل في خطورتها واستفحالها. وثمة اكثر من مؤشر على ان رحلة الخروج منها قد بدأت.

غير ان الشيء الجوهرى والحيوى بالنسبة الى مستقبل الامة العربية، ومستقبل نهضتها الحديثة، هو الطريقة التي تتم بها معالجة هذه الحالة. هل ستكون طريقة سطحية ووقتية وجزئية، كما في الحالات السابقة، أو انها ستعبر عن نضج تجربة

(١) حديث لمجلة الطليعة العربية التي تصدر في باريس بتاريخ ٢٨ - ١٠ - ١٩٨٥.

عشرات السنين للفكر والنضال، وبالتالي ان تكون نتيجة دراسة وتخطيط يسهم فيه الفكر العربي في اعلى مستوياته، والمناضلون العرب الذين تتمثل فيهم التجربة النضالية الشعبية، وتتلخص بأعمق معانيها؟

بتعبير اوضح، يشترط في هذه المعالجة الجديدة لظاهرة العجز العربي، ولكيفية الخروج منها: الايمان اولا بالمنطلق القومي، وثانيا بالمنطلق الشعبي الديمقراطي، وثالثا بالعمق الحضاري، ولقد كانت كل المعالجات حتى الآن تفتقد بعض هذه الشروط.

هنالك حقيقة مستقرة في اعماق الضمير العربي، حقيقة وجدانية ولكنها في الوقت نفسه علمية وموضوعية، مؤداها ان امكانات الشعب العربي فيما اذا تحررت من حالة العجز الراهن، اي اذا انطلقت قوى الشعب النضالية وتوحدت وراء اهداف حية، اصيلة، معبرة عن حاجات الانسان العربي بكامل ابعاد شخصيته القومية الحضارية، فانها قادرة ليس على رد الهجمة الامبريالية الصهيونية واسترداد الارض والحقوق العربية فحسب، بل ايضا على العطاء الانساني والابداع الحضاري.

ثمة ثلاثة تحديات تواجه الواقع العربي هي:

التجزئة، والتخلف، وفقدان الاتجاه الحضاري الواحد. فعندما تحسم مشكلة القومية باقرار وحدة الامة، وعندما تحسم مشكلة التخلف بالخيار التقدمي الواضح الحاسم، يبقى موضوع روح الحضارة، وعندئذ تقرر الحقيقة التالية:

ان الاسلام يشكل النسيج الروحي والحضاري، للامة العربية. فحركة الوحدة العربية، وهي حركة تاريخية، لم تتأخر او تتعثر حتى الآن، الا لانها لم تطرح بمضمونها الكامل على الجماهير العربية. . اي بخياراتها الثلاثة: القومية العربية، والتقدم، والاسلام الحضاري.

● لقد كان تحرك الجماهير العربية في مصر وانفعالها بالاحداث القومية الراهنة متميزا، ولا سيما ضد الاعتداءات الامبريالية - الصهيونية على الامة العربية. فما هو تفسيركم لذلك؟

- لم نفاجاً برد فعل الجماهير العربية في مصر على الاعتداءات الاميركية - الصهيونية الاخيرة، بل كنا متأكدين من ذلك، وهذه ظاهرة ليست جديدة فقد كانت جماهير مصر العربية، الوحيدة التي تظاهرت استنكارا لضرب المفاعل النووي العراقي من قبل طيران العدو الصهيوني، رغم القمع الذي واجهتها به اجهزة امن السادات. ثم استمرت الظاهرة وتطورت بعد زوال السادات لشعور الجماهير الشعبية في مصر بأنها هي التي حكمت على السادات واقتضت منه على استسلامه وتكيله مصر بالمعاهدة التي فرضها العدو ورغم ان الجيش المصري كان هو المنتصر. كما اقتضت جماهير مصر من السادات على عزله مصر عن جسم الامة العربية، وتفريطه بقضيته المركزية. . قضية فلسطين.

لقد انتزعت الجماهير العربية في مصر حريتها انتزاعا، ولم تأت هبة من احد. وهي ما زالت تتقدم في ممارستها النضالية والديمقراطية مولية القضايا العربية، وبخاصة قضية فلسطين اهتمامها الاول، كرد على معاهدة «كامب ديفيد» التي رمى منها العدو الى اخراج مصر من ساحة الصراع العربي - الصهيوني، وتكليفها ما هو ضد طبيعتها، وتاريخها، وقدرها ومصيرها. اي ان تقف مكتوفة الايدي، بينما العدو الصهيوني يغزولبنان في عام ١٩٨٢، فيدمر مدنه، ويلحق المقاومة الفلسطينية بكل آله الحربية ليقتضي عليها. ولكنه فوجيء بالمقاومة الفلسطينية - اللبنانية الباسلة، والاعمال البطولية الخارقة، كما فوجيء بالغضب العارم يجتاح جماهير مصر التي كانت في ذلك الوقت متميزة في وقفها الوطنية ضد العدو الصهيوني، وفي مؤازرة المقاومة الفلسطينية.

وبمقدار عمق الطعنة التي طعن بها السادات مصر ومصالحها الحيوية، ومركزها الدولي، ودورها العربي، كانت الصحوه ومحاولة التصحيح والتعويض قوية واصيلة. لأن ما يحدث في مصر في السنوات الاخيرة، ليس أقل من مراجعة عميقة شاملة ذات ابعاد وحدوية وحضارية، بدأت منذ الآن تؤثر ايجابيا في حياة الجماهير العربية في كل قطر من اقطارها وفي صنع المستقبل العربي.

فاذا كانت الهزائم والنكسات والردات قد اثمرت مثل هذه الصحوه، وهذا التفاعل الشعبي العميق مع المصير القومي العربي . فأصبحت الوحدة العربية في مصر حقيقة يعيشها الشعب في كفاحه ونضاله اليومي في سبيل المطالب الاجتماعيه، او في سبيل الحقوق والكرامة الوطنية، كما اصبحت محور تفكير المفكرين ومناضلي الاحزاب الوطنية والهيئات والنقابات الشعبية . نقول: اذا كانت هذه هي الثمرة، فانها حصيلة ايجابية واثمينة باعتبار وزن مصر الحاسم في النهضة والمصير العربيين .

اننا مستبشرون بهذا التحرك الجماهيري في مصر وبالتطور العميق في الوعي القومي الذي حدث فيها خلال السنوات الخمس عشرة الاخيره . فقد احدث ارتداد حكم السادات على سياسة عبدالناصر صدمة للشعور وللرأي العام في مصر، فبدأت المفاهيم القومية تكتسح العدد الاكبر من الطبقة المثقفة، والطبقات الشعبية بمختلف فئاتها، وتضعها امام مسؤولياتها الوطنية والقومية .

ولكن يجب ان لانسى ان المسؤولية الملقاة على عاتق مثقفي مصر وجماهيرها الشعبية، ليست بالمسؤولية السهلة ولا البسيطة، لان الاعداء استغلوا الردة التي قام بها السادات، وهم مشاركون في صنعها، ليحتلوا مواقع في مصر ويضعوا الكثير من القيود، لكي يصبح الخروج من الردة امرا بالغ الصعوبة .

لقد كان رأينا، منذ ان تمكن الشعب العربي في مصر من ازالة السادات، ان مسؤولية نهوض مصر من كبوتها واستكمالها لخطوات استرداد حريتها وعافيتها، وتحطيم القيود المكبلة لحركتها وارادتها، هي مسؤولية الجماهير العربية والمناضلين العرب على امتداد الوطن الكبير، بقدر ما هي مسؤولية جماهير مصر، وقياداتها المفكرة والمناضلة . اذ لم يعد جائزا، ان يترك أي قطر عربي وحيدا في معالجة ازماته وظروفه المصيرية، وبخاصة مصر المستهدفة منذ زمن بعيد من قبل اعداء الامة العربية لغرض عزلها وتعطيل دورها في حركة النهضة والوحدة العربية . فالمستقبل العربي يصنع الان من خلال التحديات الكبرى وجواب الشعب العربي عليها، وهو

على مفترق الطريق : اما ان يبقى سجين الضعف والعجز، اذا بقي سجيناً للتجزئة القطرية، واما ان يحقق النقلة النوعية الوحودية التي تضعه جديداً على طريق النهضة التاريخية، لاسيما ان الامة العربية تقترب الان من الوضع السليم الذي يؤهل للانطلاقات الكبرى، وللابداعات، وللأحداث التاريخية، طالما امتلكت مصر هذا السلاح التاريخي اوهي في سبيل امتلاكه .

لايستطيع احد ان يمن على مصر وشعبها العظيم، وقد كان العرب، دوماً، مقصرين بحق مصر مع تفاوت في النسب، حتى عندما تكون تصرفات السياسة المصرية خاطئة او منحرفة، فان العرب مسؤولون، لانهم لم يحتاطوا من قبل لمنع هذا الخطأ او هذا الانحراف، ولم يفعلوا كل ما يجب ان يفعلوه .

وإذا كنا نشعر بالاعتزاز العميق والتفاؤل الكبير لموقف شعبنا العربي في مصر من اعتداءات الكيان الصهيوني والولايات المتحدة، وللمطالبة الشعبية بالغاء معاهدة «كامب ديفيد» وطرد السفير الصهيوني من القاهرة، ورفض المعونات الاميركية على ارض مصر . . وغير ذلك من قيود التبعية، فاننا نعرف ان هذا يرتب واجبا قومياً خطيراً على بقية العرب وعلى الهيئات والاحزاب العربية المناضلة لكي تعبيء الجماهير من اجل التضامن المصيري الكامل مع مصر، وان تفرض على حكومات الاقطار العربية، بحسب امكاناتها المادية، ما يكون بديلاً للمعونة الاميركية كحد ادنى ومرحلة اولى في مساعدة مصر على استكمال تحررها من قيود المعاهدة الصهيونية الاميركية، ومن كل ما يعيق انطلاقتها الجديد في حركة النهوض العربي الشامل .

اهمية مصر، اضافة الى الجوانب العديدة، أن اوضاعها شفافة وكاشفة للاوضاع العربية بكاملها . شفافة بمعنى ان الشعب المصري بكل فئاته وقياداته من مختلف الاتجاهات ضد الارتباطات التي ورط بها السادات مصر، والتي افقدت مصر الشيء الكثير من استقلالها وسيادتها، وافقدتها دورها العربي القيادي ووزنها الدولي المرتبط بدورها العربي، عدا عن التدهور الاقتصادي والاجتماعي والاخلاقي، وهذه الارتباطات مستمرة ولم تتوقف الفئة الطفيلية التي اعتمد عليها السادات، والتي ما

زالت تمثل امتدادا لحكمه في الوقت الراهن عن الدفاع عنها، وتبريرها بالادعاء الباطل انها تمثل الخيارات التاريخية لصنع السلام، وتسبخ عليها ثوب المبادئ والقناعات في عملية تزوير لتاريخ القضية العربية كلها، ولنضال ابناء مصر.

وهي كاشفة للاوضاع العربية، لان الاقطار العربية بمجموعها معترضة، بنسب مختلفة، على تورط مصر في هذه الارتباطات ولكنها لاتستطيع ان تفعل شيئا وبعضها لا يريد ان يفعل شيئا. رغم علمه بان الشعب المصري كله ضد هذا التورط، وهو معارض له ناظم عليه. وهذه الحالة من العجز الذي ينطوي بعضه على التآمر، اذ ليس كله عجزا بريئا، اعطت في الماضي حجة للسادات، وتعطي الآن حجة لمكلمي سياسة السادات بأن لايدل عن الطريق الذي سلوكه.

ان القضية العربية لم تكن في يوم من الايام مترابطة في مشكلاتها وعقدها مثلما هي في الوقت الحاضر. فهناك انظمة تحتج بـ «كامب ديفيد» لابقاء مصر معزولة، وهي في الواقع تريد لـ «كامب ديفيد» ان يستمر، لانها تجد مصلحتها الضيقة والوقتية في ابقاء مصر معزولة عن الاقطار العربية، وهي تضع ملياراتها في خزائن الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية المؤيدة والداعمة للكيان الصهيوني، بدلا من ان تقدم بعضا منها لمصر لتحرر من المعونة الاميركية. كذلك هي في سياستها المزدوجة في تأييد القضية الفلسطينية بينما تدعم بكل الوسائل النظام السوري الذي يقوم باعمال التصفية الجماعية للمقاومة الفلسطينية ومخيمات الشعب الفلسطيني كما يفعل الكيان الصهيوني تماما.

ليس هناك من يحل محل مصر بسبب عوامل طبيعية وتاريخية هيأتها لهذا الدور، ولكن هناك من يساعدها على اختصار الطريق وانضاج الوعي للقيام بدورها. كما ان هناك من يعاكسها. ان ما يساعد مصر على ان تقوم بدورها القيادي حق القيام، هو ان تعرف بوضوح كيف ساهمت الاقطار الاخرى والحركات القومية في انضاج هذا الوعي.

وهنا نشير الى دور العراق، فلو لم يكن حكم البعث في العراق منذ ١٧ تموز

١٩٦٨ حتى الآن، لما امكن ان يحصل ما حصل في العلاقة مع مصر، ولما كان تم خلال السبع عشرة سنة هذا التفاعل البشري، والتفاعل القومي، والتفاعل القتالي في الحرب بكل ما ترمز اليه هذه الحرب من معان قومية.

عراق البعث يعرف، لانه بعثي، دور مصر ويعترف به. . ويعرف انه لا يمكن ان يكون البديل، فأخذ دور الشقيق المساعد المؤازر المعاضد. وعندما انتكست مصر وتآمر السادات على دورها، وقف العراق ليس من اجل ان يأخذ دور مصر، ولكن من اجل ان تستمر القيم التي دافعت عنها مصر والامة العربية، ومن اجل ان تنهض مصر من نكسة الردة. ولانظن ان صورة العراق الناهض والرافع لهذه القيم التي سقطت فترة في مصر، رغما عن مصر وعن شعبها، صورة العراق القوي بعد «كامب ديفيد»، ثم صموده وبطولاته في حرب غير متكافئة يدافع فيها عن الامة العربية وعن طريق النهضة والمستقبل، لا نحسب ان هذه الصورة لم تسهم في رفع معنويات المناضلين في مصر والشعب عامة.

مصر هي القطر القائد، وهي الوزن الاكبر، وهي الروح والثقافة والشعب والاصالة. . ولكنها جزء، والعروبة اكبر منها، وكما أن الاقطار العربية لاجية لها الا بمصر فان مصر لا تستطيع ان تعيش الا كجزء من الامة.

● منذ الغزو الصهيوني للبنان في عام ١٩٨٢، تصاعدت الهجمات الشرسة ضد المقاومة الفلسطينية، من قبل الاعداء وبعض الانظمة العربية. ما سبب ذلك في رأيكم وكيف تستطيع المقاومة ان تواجه هذه الهجمات، وتتجاوز مخاطر المرحلة؟

- اذا كنا قد وصفنا حالة مصر بعد توريطها بالارتباطات الاجنبية، وبمعاهدة «كامب ديفيد» بأنها حالة شفاقة وكاشفة للاوضاع العربية، فان القضية الفلسطينية هي اكثر القضايا العربية شفاقية، وهي ايضا كاشفة للاوضاع العربية قبل ان تصبح حالة مصر كذلك.

فمنذ وجدت القضية الفلسطينية بتنفيذ المؤامرة الصهيونية الاستعمارية، وزرع

الكيان الصهيوني في فلسطين، أصبحت هي القضية المركزية لنضال الأمة العربية، في مواجهتها لاعدائها الخارجيين من صهيانية وغرب استعماري، وفي مواجهتها لتحديات الواقع العربي واقع التجزئة، والتخلف، والظلم الاجتماعي، وعزل الجماهير الشعبية، وستبقى دوما هي المعيار لمدى تقدم او تقهقر قضية الأمة العربية في نهضتها الحديثة، والعروة الوثقى التي تشد نضال ابنائها في مختلف اجزائها. ولذلك فان التآمر الامبريالي الصهيوني من اجل انهاء هذه القضية يشدد ويتصاعد، وكانت اولى نتائجه الخطيرة، المؤامرة الامبريالية الصهيونية في عزل مصر عن جسم الأمة العربية، والتخلي عن القضية الفلسطينية بموافقة السادات والفئة الطفيلية التي شايعته في مصر.

ان الغارة الصهيونية الاجرامية الاخيرة على مقرات منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، والتي تمت بموافقة ومساعدة الولايات المتحدة، وما لحقها من اعمال قرصنة قامت بها احدى اكبر قوتين في العالم ضد الطائرة المصرية المدنية، وما سبق هذه الغارة الاجرامية من غزو للبنان واعتداءات لاحصر لها عليه، انما تهدف الى انهاء القضية الفلسطينية، لابل انهاء الشعب الفلسطيني. والشيء المؤلم ان هذه الاعمال الاجرامية والمحاولات المحمومة لانهاء القضية الفلسطينية، تتم بمساعدة ادوات عربية، احيانا، كما جرى وما زال يجري في لبنان على ايدي النظام السوري وعملائه. والقصد من ذلك، أي من انهاء القضية الفلسطينية، هو ترسيخ التجزئة وتعميقها، وتفتيت الأمة العربية الى امم وطوائف وقبائل، اذا استطاع الاعداء ان يطمسوا قضية فلسطين. وهذا في اعتقادنا وقناعتنا من المستحيلات، اذ ستبقى قضية فلسطين هي قضية وجود الأمة العربية وتحقيق وحدتها ونهضتها، وستظل هي الضوء الكاشف للعجز العربي، والحافز الدافع الى التعرف على اسباب هذا العجز والعمل على تجاوزه.

عندما طرحت قضية فلسطين بعد عام ١٩٤٨ طرحت قضية النهضة العربية بمستوى ونظرة جديدين فقامت ثورات وانقلابات، استجابة فورية لما حدث، اكثرها

كان ترجمة غير امينة لتطلعات الشعب، لان المطلوب كان تغييرا جذريا في العقلية وفي الاوضاع السياسية والاجتماعية اذ كانت حرب ١٩٤٨ برهانا على افلاس المجتمع العربي حتى ذلك الوقت، وتخلفه، وعدم صلاحيته للصمود في مثل هذه المعارك.

ولان قضية فلسطين، هي قضية الامة العربية وقضية نهضتها بجوهرها الحضاري وبعدها الانساني فقد اسميناها مرارا: قضية العصر، لانها امتحان للضمير العالمي، ولاسس الحضارة العالمية، واخلاقيتها. وبهذا المعنى فهي كاشفة ايضا، للاوضاع الدولية ولتصرفات الدول الكبرى التي تتحدث عن الديمقراطية وحق الشعوب في تقرير مصيرها، وتتصرف كالعصابات وبوسائل ارهابية لحرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه الوطنية، ومن حقه في تقرير مصيره على ارضه.

ان اشتداد الهجمة التي يشنها الاعداء بضراوة ضد المقاومة الفلسطينية، والتي يعاونهم فيها بعض العرب تأتي تنفيذا للمخطط الهادف الى انهاء القضية الفلسطينية.

ان المقاومة الفلسطينية التي برهنت على قدرة غير عادية على الصمود والحركة وابقاء القضية الفلسطينية حية ساخنة على المسرح الدولي، رغم الظروف والاوضاع العربية المعروفة، جديرة بان تحظى بتقدير المناضلين العرب ودعمهم، وتفهم شعار استقلالية القرار الفلسطيني الذي ترفعه.

ففي مواجهة وضع عربي بهذا الترددي والتشرذم، وبوجود انظمة عديدة فاسدة ومتنكرة لمسؤوليتها القومية، تكون مطالبة المقاومة الفلسطينية باستقلالية القرار الفلسطيني حقا مشروعاً، بل واجبا وطنيا.

ولكن، في نظرة ثورية مستقبلية لمعالجة الاوضاع العربية معالجة جذرية شاملة ورسم طريق النهوض من حالة الترددي والعجز الراهنة، وتصحيح السير، وتوحيد الجهد والنضال، في عملية تاريخية تكون المقاومة الفلسطينية من ضمنها وفي

قلبها، لا يعود لشعار استقلالية القرار الفلسطيني من معنى، كما ان شعارات ومفاهيم ومبادئ سياسية كثيرة رائجة سوف تسقط ويبطل مفعولها وتفقد معناها كذلك. ومنها مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية.

اذن، طريق الخروج بالنسبة للمقاومة الفلسطينية من المأزق الذي تدفع اليه دفعا. لا يمكن ان يكون الا الطريق نفسه، لخروج الامة العربية من حالة العجز التي تعتورها.

ان المقاومة الفلسطينية مطالبة اليوم بتوحيد صفوفها وتعزيز وحدتها لمواجهة هذه الهجمة، ولكي تأخذ دورها في حركة الثورة العربية على طريق صنع المستقبل وبناء نهضة الامة بافق نضالي وحضاري جديد.

● رغم بشاعة العدوان الصهيوني على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، وما تميزت به عملية القرصنة الاميركية ضد الطائرة المصرية من استهتار وغطرسة، فقد تجاوب الغرب مع العدوان، وصوره على انه «عمل بطولي». ما تفسير ذلك؟

- كشفت الاحداث الاخيرة عن ظاهرة هي ليست بالجديدة، ولكن كثيرا ماتنسى اولا تعطى الاهمية التي تستحقها في الاوقات العادية. هذه الظاهرة هي ان الغرب ما زال يشعر بانه حضارة معادية للعرب والاسلام كحضارة أخرى، وان حضارة الغرب هي المتفوقة، وهي التي استطاعت عبر القرون الاخيرة ان تفرض نفسها على العالم الى حد كبير، وانها رغم تفوقها ورغم سيطرتها لم تستطع ان تقضي على الصمود الراسخ في جوهر الحضارة العربية الاسلامية، رغم ما اصابها من نكسات وما آلت اليه من تخلف بالنسبة للحضارة العالمية.

بعد ان فشل الغرب في الاحتفاظ بمستعمراته وبالسيطرة على مقدرات معظم الاقطار العربية واضطر الى الانسحاب، وجد في المشروع الصهيوني اداة جديدة، ووسيلة لابقاء العرب في حالة التخلف والتجزئة حتى يسهل عليه استغلال مواقع وثروات هذه الاقطار، ولو بشكل جديد ومختلف عن الاستعمار القديم. ولقد كان

اللقاء طبيعياً وقويًا بين المشروع الصهيوني وسياسة الغرب الاستعمارية منذ بداية ذلك المشروع.

وعندما تحقق لهذين الحليفين: الاستعمار والصهيونية العالمية، إقامة الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين، دخل الغرب في علاقة جديدة مع اليهود واليهودية. فبعد مضي أربعة قرون على النهضة الأوروبية، كان الغرب خلالها يعتبر أن حضارته مستندة إلى صيغة من التفاعل بين المسيحية والحضارة اليونانية - اللاتينية القديمة ويدرس ذلك في جامعاته، إذا هو يجري تعديلاً جوهرياً على هذه المسلمة، أو يبدلها بأن أصبح الأساس لحضارته هو التفاعل بين الديانتين المسيحية واليهودية وهي عملية سياسية مفضوحة ليس لها من مبرر إلا القوة التي بلغت الصهيونية في الغرب حتى استطاعت أن تفرض مثل هذا التعديل الأيديولوجي الأساسي، والأطماع الغرب في استغلال البلاد العربية وثرواتها، واعتبار الكيان الصهيوني جزءاً متقدماً من حضارة الغرب مزروعاً في قلب البلاد العربية تجمعها بالغرب صلات ومصالح وأهداف مشتركة. وأصبحت اليهودية، التي كانت إلى عهد غير بعيد موضوع تمييز ديني، وعنصري، واضطهاد في بعض الأحيان في الغرب، أصبحت اليهودية جزءاً عضويًا في جسم الغرب، وحليفًا ليس لمحاربة العرب والإسلام فحسب، بل لمحاربة الاتحاد السوفياتي وزعزعة استقرار مجتمعه في الداخل، والتشهير به في الخارج.

منذ بداية الحرب العالمية الثانية اتضح أن من أهم أسباب فشل وتعثّر النضال العربي التحرري ضد الاستعمار الغربي، أن ذلك النضال كان أولاً: مجزأً غير موحد، وثانياً: أن قياداته لم تكن تؤمن بدور الجماهير، وثالثاً: أن أهداف النضال لم تكن تعبر عن كامل الحاجات والنزعات والتطلعات التي كانت تخالج ضمير الجماهير العربية. إذ كانت الأهداف مقتصرة على النواحي السياسية ومغفلة للعدالة الاجتماعية، ولما يتعلق بحرية الإنسان العربي وكرامته، وما يتعلق بجذوره النفسية والشعورية والثقافية وتطلعه الحضاري. وكانت المرحلة قد نضجت لمخاطبة

الانسان العربي والجماهير العربية بلغة جديدة، وبصيغة تحرك في هذا الانسان وفي هذه الجماهير أقوى الدوافع النضالية واعمق النزعات الروحية التي تدفع الشعب الى النهضة والبناء، وتجدد فيه حسه التاريخي واندفاعه الى الابداع والمساهمة في صنع الحضارة الانسانية. اي، بكلمة مختصرة، ان المرحلة اصبحت مهياً لان يأخذ النضال العربي صيغة مشروع حضاري جديد لامة واحدة ذات تاريخ عريق ورسالة حضارية انسانية وطبيعي ان يحتل الاسلام كثورة عربية فكرية اخلاقية اجتماعية ذات ابعاد انسانية، ان يحتل مركز المحور والروح في هذا المشروع الجديد.

هذا المفهوم الثوري الحضاري للاسلام جاء كنتيجة للمعاناة الفكرية النضالية للواقع العربي المجزأ المتخلف والمنقوص الحرية والسيادة، امام الحضارة الغربية الاستعمارية الغازية المتسلطة، واصبح هذا المفهوم بدوره ملهما لصيغة جديدة للنضال القومي تهدف الى التحرر، والعدالة، والوحدة في سبيل تحقيق رسالة الامة الانسانية.

● عندما اطلقتكم نداءكم التاريخي اثر الهجمات البربرية التي تعرضت لها مخيمات الشعب الفلسطيني في بيروت على ايدي عملاء النظام السوري وبمساعده دعوتهم الى مستوى جديد في النضال القومي، يتناسب مع المرحلة. ماهي ابعاد هذا النضال، وما هي شروط انطلاقه؟

- هذه الاحداث الاخيرة، على قوتها وخطورتها، وما حركته من مشاعر شعبية عميقة وواسعة، في مصر بصورة خاصة وفي الوطن العربي كله بصورة عامة، كان يؤمل منها، ويمكن لها ان تتحول الى منعطف تاريخي تحطم فيه الجماهير العربية القيود التي تفرضها الولايات المتحدة والكيان الصهيوني، وتنتهي زمن تلقي الضربات والعجز، وتدخل مرحلة جديدة من امتلاك الامة لارادتها والسيطرة على مقدراتها، والانطلاق في طريق تعبئة الجهود والاعداد الجدي للمواجهة الحاسمة مع العدو. لكن ذلك لم يحصل، لانه كان يشترط وجود المستوى القومي القيادي الممثل لامكانات المستقبل، والذي ما زال مفقودا، وتأتي الاحداث متلاحقة لتذكر

المناضلين والمفكرين الملتزمين بقضية امتهم بضرورة اللقاء والتفاهم والتخطيط من اجل هذا العمل المستقبلي المعبر عن توافر الشروط ونضج المرحلة للبدء في مباشرة مثل هذا العمل التاريخي ، وبخاصة ان مصر قد ولدت من جديد في صميم المصير العربي ، والقومية العربية ، وهو كسب تاريخي لا يعادله في القيمة شيء آخر.

اذن ، المستوى الذي يجب ان تطرح فيه القضايا العربية ، هو مستوى الوعي القومي ، ومستوى التجربة النضالية ، ومستوى التجرد القيادي ، من اجل التعجيل في النهوض وفي القضاء على السلبات وعلى التفاوت السلمي بين الاقطار، ومن اجل العمل الوحدوي بافق مشروع قومي حضاري تاريخي .

هذا المستوى الذي يستطيع ان ينظر بعمق وان ينظر بعيدا في آن معا . الذي يستطيع ان يقدر اهمية مصر الحيوية حتى عندما تكون مصر في حالة نكسة وتقهقر، ويستطيع ان يكتشف ويتوقع عوامل القوة والصحة التي ستمكنها من النهوض وتنضج وعيها وتجربتها الى الحد الذي يؤهلها للقيام بدورها القيادي بشكل اسلم وانضج من التجارب السابقة .

اذن ، لاغنى عن ايجاد هذا الصعيد الجديد الذي يتجاوز، ليس الانظمة فحسب ، بل الاقطار كاقطار مهما تكن اهميتها وخطورة امكاناتها ومواقعها .

عملية بناء المستقبل العربي تتطلب مساهمة مجموع الامة ومجموع اجزائها واقطارها وفتاتها ، الكبير منها والصغير على حد سواء . لان كل جزء لابد ان يملك مساهمة اساسية ثمينة يضيفها الى اسهامات الاجزاء الاخرى . وفي كل جزء مهما يكن صغيرا مشاكل وسلبات اذا لم تفهم بروح قومية عميقة رحبة ، تستطيع ان تعطل مسيرة الامة كلها .

٢٨ تشرين الاول ١٩٨٥